**المحاضرة السادسة:**

**قضية الفحولة عند النقاد ( نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب**):

**في معنى الفحولة:**

**لغة**: ورد في لسان العرب: الفحل معروف الذكر من كل حيوان جمعه أفحل وفحول وفحولة وفحال وفحالة مثل: الجمالة.

قال سيبويه: " ألحقوا فيها الهاء لتأنيث الجمع. ورجل فحيل: فحل، وإنه لبين الفحولة. والفِحالة والفِحْلَة وفَحِلَ إبله فحلا كريما: اختار لها.

والفحيل: فحل الإبل إذا كان كريما منجبا. وكبش فحيل يشبه الفحل من الإبل، والعرب تسمي سهيلا الفحل تشبيها له بفحل الإبل، وذلك لاعتزاله عن النجوم وعظمه.

ويقال: استفحل أمر العدو: إذا اشتدّ وقوي.

قال ابن سيدة: الفحل والفحال ذكر النخل. والفحل: حصير تنسج من فحال النخل والجمع فحول.

وفحول الشعراء: هم اللذين غلبوا بالهجاء من هاجاهم مثل جرير والفرزدق وأشباههما، وكذلك كل من عارض شاعرا فغلب عليه، مثل علقمة بن عبدة، وكان يسمى فحلا لأنه غلب امرأ القيس في منافسة شعرية"[[1]](#footnote-1).

**اصطلاحا:** سئل الأصمعي صاحب " فحولة الشعراء " عن الشاعر الفحل فأجاب: "هو من له مزية على غيره كمزية الفحل على الحقاق. وفي حكمه على عدي بن زيد " ليس بفحل ولا أنثى والفحول كذلك الشعراء الذين غلبوا بالهجاء من هجاهم، مثل جرير والفرزدق وأشباههما، وكذلك كل من عارض شاعرا فغلب عليه فهو فحل مثل علقمة بن عبيدة "[[2]](#footnote-2).

والمتأمل في المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي يرى كيف انتقلت معنى الفحولة من دلالتها اللغوية ( الذكورة، القوة، النبل، العظمة) إلى ميدان الشعر والشعراء لتوصف بها طبقة من الشعراء تميزت عن غيرها في ميدان المواهب الشعرية، وهذا يعني انزياحا في الدلالة وتحولا في المفهوم اللغوي، إذ يتحول مفهوم الفحل إلى منظومة تمثل السيادة والعلو والاكتمال، وهو المعيار الذي اتخذه الأصمعي لتصنيف الشعراء من خلاله.

**معايير الفحولة عند الأصمعي (عبد الملك بن قريب الباهلي ت 216هـ):**

يكشف الأصمعي عن كيفية تكون الشاعر الفحل وذلك من خلال تسلحه بمجموعة من الآليات والمهارات تمكنه من بلوغ درجة الفحولة فيقول: " لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلا حتى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ، وأول ذلك أن يعلم العروض ليكون ميزانا على قوله، والنحو ليصلح به لسانه ويقيم به إعرابه، والنسب وأيام العرب، ليستعين بذلك على معرفة المناقب وذكرهما بمدح أو ذم"[[3]](#footnote-3).

فمعايير الفحولة عند الأصمعي تتمثل في سبعة أمور وهي: رواية الأشعار، سماع الأخبار، معرفة المعاني، دوران الألفاظ في مسامعه، العلم بالعروض ليقيم الوزن، العلم بالنحو ليأمن اللحن، العلم بالأنساب وأيام العرب ليستعين بهما إذا مدح أو هجاء.

**معايير ترتيب الشعراء إلى فحول وغير فحول:**

1- معيار الكثرة: فكلما كان الشاعر مكثرا من قول الشعر، يرتقي إلى مصاف الفحول، ومن ثمة فالأصمعي لا يعتد بالأبيات والمقطوعات القصيرة، بل يتخذ من القصائد الجيدة أنموذجا متعاليا يطالب من خلاله الشاعر أن ينسج على منواله يقول أبو حاتم الساجستاني: " قلت فالحويدرة؟ قال: لو قال مثل قصيدته خمس قصائد كان فحلا

وأما قصيدته التي قصدها هي العينية ومطلعها:

بكرت سمية غدوة فتمتع وغدت غدو مفارق لم يرجع.

فالحويدرة من الشعراء الجاهليين البارزين، وهو في نظر الأصمعي مقل، والعينية التي أتى بها ذات مرتبة عالية، اتخذها الأصمعي مقياسا له في الفحولة فقط لو نسج على منوالها خمسا أخر. وبالمعيار نفسه حكم على المهلهل بأنه ليس فحلا. وهذا المعيار يكشف أن الفحولة طاقة شعرية متميزة وقدرة كبيرة على أداء الفنون الشعرية المختلفة.

2- جودة الشعر: كما ارتكز الأصمعي على هذا المعيار والذي يكشف من خلاله براعة الشاعر ومقدرته على نظم الشعر، حيث يصبح هذا الشاعر فاتح الطريق للبقية من الشعراء وهذا المعيار هو الذي جعله يقول في امرئ القيس " ما أرى في الدنيا لأحد مثل قول امرئ القيس:

وقاهم جدهم ببني أبيهم لأشقين ما كان العقاب

قال أبو حاتم: فلما رآني أكتب كلامه فكر ثم قال: بل أولهم كلهم في الجودة امرئ القيس، له الحظوة والسبق، وكلهم أخذوا من قوله، واتبعوا مذهبه "[[4]](#footnote-4)

كما حكم الأصمعي على بعض الشعراء بعدم الفحولة لافتقادهم إلى بعض الخصائص كقوله في لبيد بن ربيعة: " قلت: فلبيد بن ربيعة قال: ليس بفحل ثم قال لي مرة أخرى: كان رجلا صالحا"[[5]](#footnote-5). ومعنى ذلك أنه ينفي الفحولة عن لبيد لأنه يفتقر إلى الجودة الشعرية.

3- معيار الزمن: كما اعتمد الأصمعي في تحديده لمعنى الفحولة على أساس زمني، فالشاعر الجاهلي إن كان من الفحول ففحولته ظاهرة لا غبار عليها، وما دون ذلك ليس كذلك، وإن تفوق من حيث الجودة الشعرية. وبهذه المعايير استطاع الأصمعي أن يحدد معنى الفحولة وإبراز مكانة الشاعر ومقدرته.

**الفحولة عند النقاد المغاربة:**

**الفحولة عند رشيق القيرواني(ت456ه):**

كما يربط ابن رشيق أيضا بين الفحولة وفكرة الطبقات وذلك بقوله: " وقالوا: الشعراء أربعة: شاعر خنذيذ، وهو الذي يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره، وسئل رؤبة عن الفحولة قال: هم الرواة، وشاعر مفلق، وهو الذي لا رواية له إلا أنه مجوّد كالخنذيذ في شعره، وشاعر فقط، وهو فوق الرديء بدرجة، وشعرور وهو لا شيء"[[6]](#footnote-6). ويتضح من خلال قول ابن رشيق أن الأساس الذي توزع عليه طبقات الشعراء، هو الخبرة الفائقة وجودة الشعر، فالشاعر الراوي لأشعار غيره عليم بفنون الشعر وضروب أغراضه، ويكون بذلك قد نهل مراتب العرفان والدراية بهذه الصناعة مما يخول له القول الشعري وتسهل عليه قريضه، كما أنها تحيطه بشتى أخبار العرب من أنساب وأيام. وهذه الرواية تمكنه من إجادة الشعر، وبذلك تكون المرتبة العليا من الشعراء، ودونها درجة للشاعر المجود لشعره غير الراوي لأشعار الفحول السابقين له. أما درجة الشاعر فهي تكاد تلامس درجة الشويعر، ولم يضع لها ابن رشيق المعيار الترتيبي الذي يفصلها عن الشويعر، وربما كانت هذه الدرجة للشاعر الذي لا رواية له لأشعار غيره من الفحول ولا جودة لقوله. أما الشعرور فهو الذي لا يمتلك أدنى صفة من صفات العملية الشعرية. وفكرة الطبقات في حد ذاتها معيار غير دقيق في تصنيف الشعراء لأنها ليست مبنية على أساس دقيق يرجع فيه الناقد إلى العملية الشعرية ذاتها وكيفية بنائها.

1. [↑](#footnote-ref-1)
2. [↑](#footnote-ref-2)
3. [↑](#footnote-ref-3)
4. [↑](#footnote-ref-4)
5. [↑](#footnote-ref-5)
6. [↑](#footnote-ref-6)